



وصف باراك أوباما مقاربته للأزمة السورية بأنها النهج "الأكثر ذكاءً". وطالما أن الحكم للأفعال لا للأقوال، فإن النتائج التي تحققت من هذه المقاربة تحكي عن نفسها: تعاون نظام بشار الأسد وتنظيم "داعش" على تدمير سوريا، وتأزر الولايات المتحدة وروسيا ونظام الأسد لـإلحاق هزيمة بالشعب السوري، وتوافق الدولتين الكباريين مع الدكتاتورية والإرهاب لقتل أي طموح عربي بالتغيير... وفي حال كهذه يصبح القول إن أوباما جنح إلى إهانة الذكاء واحتقاره، لا إلى تمجيده.

في خطاب "حال الاتحاد" الأخير قبل انتهاء ولايته الرئاسية الثانية، كان أوباما منفصلاً فعلاً عن الواقع الذي أسهم في تشكيله، سواء بتردداته أو بـ"استقالته" أو حتى بعجزه المكشوف.

كان جميع الذين تحمسوا لوصول رئيس أسود إلى البيت الأبيض يأملون في أن يجري تغييراً في السياسة الأميركيّة، وقد فعل، إلا أن جديده المرتقب منذ سنين طويلة ظلّ هامشياً ولم يتمكّن من اختراق العقل السياسي لـ"مؤسسة" الحكم. ذاك أن تداعيات سياساته راكمت سوءات أخرى إلى سياسات أميركا الخارجية ولم تؤسس لنهج سلمي عالمي، كما يعتقد. الأسوأ أن عهده تحول سريعاً إلى "وقت مستقطع" في الدبلوماسية الأميركيّة، كما لو أن لا فائدة منه، ولعله على العكس مهدّد لوحدة الدبلوماسية السابقة بأسوأ ما عندها. وليس صعود دونالد ترامب في الاستطلاعات سوى مؤشر إلى ذلك بغضّ النظر عن انتخابه أو عدمه.

ليس تبسيطأ القول إن عبارة "داعش ليس خطراً وجودياً" لأميركا يختصر عملياً كل تفكيره. فالملهم عنده، في نهاية المطاف، أن أميركا في مأمن من الإرهاب، أما معاناة بلدان وشعوب أخرى من الإرهاب فهي تفاصيل تتسلّى أميركا بـ"مكافحتها". وليس تبسيطأ، أيضاً، مفاخرته بالقطع مع سياسة أميركية تقليدية قامت على التدخل العسكري. فال صحيح أنه لم يتدخل على الطريقة البوشية، لكن "عدم التدخل" على الطريقة الأوّلامية كان في الواقع تدخلاً بالإثابة يتولاه فلاديمير بوتن أو "أبو بكر البغدادي" أو "الحوذى" أيّ من شذوذ المارقين.

كانت كل ظواهر الفشل الأوّلامي في المنطقة العربية. في عامه الأول نال تصفيقاً عربياً لم يحظّ به أي رئيس الأميركي في السابق، إذ أبدى استعداداً استعراضياً للتصدي للقضية الفلسطينية، ثم تراجع أمام بنيامين نتنياهو الذي لم يتردد ووزراؤه في تحقيمه وإهانة إدارته، إلى أن استسلم معلناً أنه في سنته الأخيرة في الحكم سينسى أن هناك قضية لا تزال مرتكزة في

لم يقتصر الأذى على أن أوباما لم يستطع، مع افتراض حسن النية، أن يحرك "السلام" ومفاضاته، بل إنه عجز عن الحد من جرائم إسرائيل المتمادية ضد الفلسطينيين.

ولعل أوباما شاء الانسحاب الأميركي من العراق نموذجاً للانسحاب من المنطقة بأسره، لكنه اضطر للعودة بحجة الإرهاب، وهي حجة ذات أسماء كثيرة منها الانسحاب التخريبي بعد التدخل/الغزو التخريبي، فكلاهما سلم العراق إلى إيران ووضعه في لجة مخاطر لا قاع لها.

إلا أن فشله الآخر الكبير كان بالتأكيد في مقاربة "الربيع العربي"، فهماً وتحليلاً وتعاملاً. فالرئيس المثقف فوت فرصة تاريخية لعقد "مصالحة" بين أميركا والعرب، وبدل مساعدة الشعوب في تحقيق طموحاتها فضل إبقاء الأبواب مفتوحة أم إعادة إنتاج الدكتاتوريات.

العرب القطبية

المصادر: